بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد رحمة الله تعالى للعالمين، وعلى آله وصحبه وتابعيه - إحسانه - إلى يوم الدين

أرجو - خلاصا - أن أكون صادقا فيما أكتب عن نفسي، مستعينا بالله - سبحانه وتعالى - فيما أورده من كلمات تعكس أمامي واقع حياتي فيما أتناوله من أعماله مرحلة وشيقة بالنسبة الأدبي ومسؤولياته عبر السنين التي تنقلت فيها من دراسة، ثم عمل اختلفت وإفادته من تدريس إلى صحافة، والحمد لله - تعالى - أنني كانت صحافة قامرة على مجلة الأزهر، فإنني لم أعد نزلت فإنما تعد نزلت "كاتبا" المجددة أدبية لم أشترك في تحريرها.

أبحاث مدة ← إعداد

ولنبدأ البداية:

وكانت في أحد أيام "جمادى" الأولى أو الآخرة من عام ١٣٤٧ هجرية الموافق ٧ من نوفمبر ١٩٢٨، وذلك يوم مولدي بحي "كرموز" بالإسكندرية. وهو حي شعبي جدا، لا يزال تكوينه كما هو - منذ أكثر من نصف قرن منذ وعيت لتكوينه حتى يومنا هذا فيما عدا شارعه الرئيسي الذي ليس له سواه، يجري به "الترام" قادما من بداية خطه حتى "المنشية" التي يرتفع فيها تمثال محرر على باشا على جواده ذي النحاس القائم. ويبدو أن (كرموز) هذا كان أحد الأنزال الذين تولوا السلطة ما بعد الحكم، ولا زلت أذكر بقية الذي كان لا يزال قائما بشارع "قمال الحمودية" القريب من منزلنا بضعة عشر مترا، فقد كان موقعا من الحي في نزاية حيث يمتد شريط الترام إلى نزاية متوازنة [illegible] (وبجانبه - أي هذا الجزء - تجري ترعة الحمودية التي تفصل حي كرموز عن حي "غيط العنب" وبينهما قنطرة سميت "كوبري كرموز").

كان الوالد - رحمه الله - معاصرا للتعليم العالي بالأزهر، فقد كان بالإسكندرية في أوائل هذا القرن مقرا لبعض المعاهد العلمية الأزهرية، ومن جاوره في التعليم: عمي فضيلة الشيخ عبد الواحد الخطيب، والشيخ عبد الرحمن تاج الذي تولى فيما بعد مشيخة الأزهر في الخمسينيات. رحمهم الله تعالى أجمعين. وقد قدر لي رؤية عمي هذا، فأما فضيلة الوالد الشيخ عبد الرحمن تاج، فلم أقابله لكني تحدثت إليه يوما بمجلة الأزهر وذكرته بشعره له وقاله: "ليس في القرآن حروف زائدة" على ما أذكر.

وكان يجب أن أتحدث عن (التعليم الأولي) بمدرسة قريبة جدا من بيتنا الكائنة بشارع المؤيد رقم ١٤ في ذلك الوقت، وفي (مدرسة عبد الرازق) فقد أدخلوني التعليمية، ولعلي كنت حينئذ في السادسة أو قبلها - لا أدري بالضبط، فلم تكن لدي أصول لحفظ القرآن الكريم، وكان الوالد يخطط للمتعلمين بالأزهر، فانتقل بنا إلى مدرسة بحي (غيط العنب) تعنى بتحفيظ القرآن الكريم. كان لها موقع جميل، فأمامها ساحة تجري ترعة الحمودية، وتلك كانت (مدرسة الشيخ عبد الله) الزنكلوني، وكان الشيخ نفسه يتولى تحفيظنا الكتاب العزيز

إلى جانب مدرسة أفرسه تلقينا على أيديهم علم الحساب والهندسة والخط و"الإملاء" وغيرها، وفي هذه المدرسة أتممت حفظ القرآن الكريم في وقت مبكر نسبيًا، لكنه لم تكن هناك فائدة من هذا التعليم، فقد اندلعت الحرب العالمية الثانية، ونقل معهد الإسكندرية الديني إلى مدينة دمنهور حتى إذا هدأت الحرب ووضعت أوزارها أعيدت إدارة المعهد إلى مقرها بالإسكندرية التحقت بالمعهد الديني في أول سنوات عمله بالمدينة وكان ذلك في العام الدراسي ١٩٤٣م/١٩٤٤، وهكذا كانت الحرب سببًا مباشرًا لمواصلة التعلم الأزهري في الوقت المناسب، لله الحمد والمنة. فقد عوضني - بعد هذا العام الفاصل - سلامة النجاح لمتابعة ما خرجت في تعلم اللغة العربية / شعبة الفلسفة عام ١٩٥٥/١٩٥٦ عاشوا يستقبلون أيامهم:

لم أكن وحيد والدي، بل توفي إخوة لي من قبلي ومن بعدي حتى صارت بنا الحياة ثلاثة إخوة أنا ومحمد أحمد الخطيب، ويليني في السبعة أعوام، وأختنا نكبرني بعامين وبضعة أشهر... وفي هذه العاشرة أو التي تليها من عمري لحقت الوالدة بالرفيق الأعلى (رحمها الله تعالى) بعملية قيصرية كانت يومذاك من أخطر العمليات الجراحية، ولعيب كالبوم وكان لهذا الحادث استدارة جفاء من الحياة لنا نحن الإخوة، فأخذت طفولتنا (طابعا) تفقد الطفولة عادة، ولله يرحم الله تعالى الجميع، فقد كانت ضرورات الحياة تفرض وتفرط علينا جميعا بداية من الوالد - رحمه الله تعالى - حتى أشقى باعتباري أصغر الإخوة الثلاثة

وكان لوالدي - رحمهما الله تعالى - جماعة أدبية فائقة، فقد قرر إصراره التام على مزاولة تعليمنا مهما كانت الظروف، بل من عوائقهم، وربما كانت المعصية الغاشمة التي توقف تعليمنا، لكنه أصر ووفقه ووفقنا الله تعالى فأتممنا تعليمنا المتوسط والعالي بخير، ولا زالت صورته تجلو لنا وهو قابع على كتاب الله وسلوته حتى وفاته في ٢٩ من ذي القعدة عام (١٣٩٣) بعد أن نلت درجة الماجستير بمرتبة الشرف الأولى والحمد لله

ولا زلت أذكر لهذا الوالد البار ما غمرنا به من عطف ورحمة ومال حتى لقد كنت، وأنا أمارس طلب العلم "بكلية اللغة العربية" بالقاهرة أظفر برواتب شهرية بينما أنه يعيش مع أسرة صغيرة (في الأعوام ٥٣ - ١٩٥٦م) وأطرف ما علمت بذهني من مواقف معه أنه - رحمه الله - كان يوصي الأصدقاء ألا يعلم بأية منحة دراسية كنت أتلقاها دارسا بالخارج. ولكم أسأل المولى - سبحانه - أن يغفر لهما والدي ووالدتي برحمته، وأن يصفح ويغفر لي ما أكون قد قصرت في حقهما بشيء، أو كلفت والدي والوالدة نعم كم أرجو مغفرته تعالى. وإنابة والدي بأضعاف أضعاف ما عانى الوالد قد ضاعفته. رحمه الله.

ولقد كان لبعض أصدقائي يعجب من العلاقة الطيبة لي بوالدي وحدبه علي حتى كنت لا أخفي عنه شيئا وأستشيره في أحوالي ربما أكثر مما يفعل غيري من الشباب أن يستشير والديه فيرى هؤلاء من يومها أشعر برضاه عني. رحمة الله عليه.

وكان لغيره تأثير عظيم على جانب تأثيره، ويتمثل هذا الغير في شخصيات ثلاث كان لها مدى لا زال ممتدا مؤثرا واقعيا إلى يومي هذا، وهؤلاء هم:

فضيلة الأستاذ الدكتور مصطفى عبد الرحمن أول من أشار علي بقسم اللغة العربية

كلية الشريعة والقانون / جامعة الأزهر

ثم فضيلة الأستاذ الدكتور محمد البهي أستاذ الفلسفة بكلية اللغة العربية أشار درا سني

ثم الأستاذ أحمد حسن الزيات الأديب المعروف ورئيس تحرير مجلة الأزهر الذي عملت معه منذ أكتوبر ١٩٦٤ حتى وفاته.

ولقد يكون هناك شخصيات أخرى لها أثر عميق في حياتي، لكن هؤلاء الثلاثة تركوا في حياتي خطوطا لا أستطيع تجاوزها:

فأما الأستاذ الدكتور مصطفى جواهد فقد تعرفت به في الإسكندرية (بمسجد الشيخ شيكلي) وهو مسجد لنا ذكريات فيه، وخصوصا بالقسم الثاني، ولم أكن منتظما لمادة "المنطق" وكان فضيلته يطلع يدرس في هذا المسجد فسألته أن يتفضل بشرح مقرر المنطق لي فاستجاب سريعا، كان ذلك في السنة الدراسية ١٩٤٨/١٩٤٩ وكنت بالسنة الثانية الثانوية، فقرأ الدروس المنظوم وشرحها وفيها استوعبت منه وكان قوله في: موضوعه ومحموله، وقضاياه الشرطية، وأقيسته متى لم يعد المنطق يمثل عقبة دراسية أمامي ... ومنذ ذلك الحين لازمته حتى إذا قضيت السنوات الخمس الدراسة الثانوية، وانتقلت إلى القاهرة كنت أكثر التردد عليه بمنزله أو في كلية الشريعة المجاورة لكلية اللغة، وكان - رحمه الله - تعالى - مرجعي الفقهي القديم الذي جمع لي فنون العلمية الطلبية الثلاث: أصول الدين، واللغة العربية، والشريعة.

ولست بمستطيع أن أتحدث عن صداقة مدى واستمرارية منه، لكنه - على أي حال - كان له تأثيره فيما أومن به وما لا أومن به من مجريات أمورنا، وكان له بصيرة نافذة عجيبة في الوصول إلى أدق أسرار مجرياتنا الحزبية بكل أبعادها، حتى لقد كنا نحن الحادثين نتفاعل مع المجموعات الشعبية فنرى لها مكانا في تكوينه الشخصية القريبة، وأنا واحد منهم وهو - في كل ذلك - يحذرنا من خطأ يمكن أن ينال منا أو يضرنا... أي أنه يكفينا فقط: (أن نفهم وألا نفرض ضمائرنا وألا يكون لنا مع منزلة شريفة جدا في نفوسنا... وألا يأتي أحدنا فعلا يطرح في هذه الأمة فكرا يمزقها ولو تحت شعار لا غبار عليه، وهذا ما دعاه - رحمه الله تعالى - ألا يمد يده إطلاقا لأية جماعة تصل نفسها بالدين - سواء خارج الأزهر؛ فقد كان يقينه أنه تلميذ الأزهر - فقط - قد درس الحلال والحرام وأحكام (الخلاف) وتوقعه في الأحكام الشرعية منذ الطفولة، وأذكر أنه ضرب لنا مثلا لم نلتفت إليه فقال - رحمه الله: إن الطالب الأزهري - وهو في القسم الابتدائي يدرس مثلا: (فرائض الوضوء سبعة خلافا لأبي حنيفة) فيدرس - في نفسه - منذ الطفولة أن يتوقع الخلاف ولا يضيق به، وليس هذا فقط؛ بل يتعامل معه، فلا ينفر المالكي من الصلاة خلف حنفي أو العكس

أن رحمة الله وسلامه على شيخنا إلى يوم الدين وإلى أن يكون ونكون جميعا بين يدي الله تعالى - يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

• • •

ثم كانه الأستاذ الدكتور البهي أستاذ الفلسفة عامة، والإسلامية خاصة ثاني الشخصيات الذي تأثرت بهم فكرا وعقلا.

كنت أشعر - وأنا أستمع إليه أني أمام أعظم أستاذ فلسفة في منطقة الشرق الأدنى كلها، وكانه عند العموم في محاضراته إلى الدرجة التي لا تستغلق عليه أية مشكلة فلسفية، فكانه يسوق لنا المعقد فكرا بأسلوب لا نجد في سواه، ولا زلت أذكر قسمه يوم أقسم أمامنا أنه لم ينجح مئات واحد الكفيل بقراءة مؤلفه (الجانب الإلهي في الفكر الإسلامي) وسوف يعلم - بعد ذلك - أنه لم يستمع لمحاضراته

كانه - رحمه الله تعالى - سخيا - لم يبع لنا كتابا، بل العكس هو الصحيح: كانه يهدينا بيده محاضراته وأحد الكتب العلمية، وكنا إذا أرسلنا له رسالة مهنئة في عيد يرد علينا، ويتخير لنا طالبا أو اثنين لبعثة علمية إلى إحدى الدول الأوربية.

وكانه أستاذنا الدكتور مصطفى جاهد ليشهد له بأنه موسوعة في العصبية الإسلامية، وكانه حقا هذا الوصف، وكانه جديرا به، وهو الذي اقترح عند وضع نصوص الدستور أنه يركز النظر على (المواطنة الصالح) بم يكونه تكوينه؟ وعلى أساس هذه الدراسة توضع المناهج التي تخرج إنسانا جديرا بهذا الوطن!

ومنذ - رحمه الله تعالى - اكتسبنا العمومة والمنزال الصلحية إلى الأبد، وعسى أن يمكنني الله تعالى من رئاسة تحرير مجلة الأزهر. لم أبخل على أستاذنا بنشر ~~بحوثه~~ ما كانه رحمه الله في الكتابة عنه من أحاديثه

ثم كانه الأستاذ أحمد حسن الزيات رئيس تحرير "الرسالة" ورئيس تحرير "مجلة الأزهر" بعد وأثناء صدور الرسالة، عملت معه مع بداية نقل المناهج من المدرسين إلى مجمع البحوث الإسلامية أي في الفترة من سبتمبر ١٩٦٤،

ومنذ اكتسبت خبرة إصدار المجلة على أحسن ما تكون. كانه للرسالة - ومجاهدة في سنواتها العشر الأولى - موقع علمي أدبي في العالم العربي والإسلامي لم تتقدمه مجلة، ربما حتى الآن، وإذا نظرنا فاحصين نظرة علمية تحقيقية لكل من الرسالة ومجلة الأزهر إبان رئاسة وفضيلة الشيخ الخضر حسين لها لوجدنا تجد فارقا في تصويرها فكلتا المجلتين حرصتا بالرسالة الإسلامية العربية، والدفاع عما قد يثور به الناقمون على الإسلام وأهله، وإن تناولت كل من المجلتين ذلك بأسلوب

ومرت فترة تدريبي على يد الزيات في قساوة عنيفة، فالرجل لديه العمل فقط، ولا شأن له إن كانه يعمل بمجلة الأزهر بوظيفة لهم مواعيد محددة للعمل، ~~فالرجل~~ فكانه ليست إلى العمل الذي قد أؤديه في السابعة مساء ودون أجر لتلك الفترة الزائدة، كما كنت بجانب الرجل الفاضل الأستاذ محمد الحفيظ محمود عبد الحليم مدير تحرير المجلة فيما بعد مسئولية عمله التصحيح. والتصحيح

عند الزيات يعني عدم الخطأ تماما، وضقت - فعلا - بالعمل، وودت الرجوع إلى التدريس، بخاصة وأني لم أطلب نقلي إلى المجمع، ولكن فوجئت - بنفسي - منقولا إليه، بإصرار سيدي أستاذي فضيلة الدكتور مصطفى سويلم الذي كان يريد أن يضع لفضيلة الدكتور محمود حب الله أول أمينه عام لمجمع البحوث الإسلامية لإقامة عمل يطمئن إليه... فلما ضقت بالعمل مع الأستاذ الزيات قال لي فضيلة الدكتور مصطفى:

"أنت تعمل مع ثروة قومية" فصبرت حتى إذا مرت سنة إذا بالأستاذ الزيات يترك لي العمل بالمجلة تماما حتى تتفرغ المقالات لم يكلفه ليستغرقه منه وقتا كبيرا، فما هو إلا أن أقرأ نحو ستة إلى عشرة أسطر حتى يقول: انشر - يا علي - أو لا تنشر، ثم يعطيني الاستعارة كلمة مستورة، أو يأخذها هو أحد كتبه. ← أخرى

كانت دقة الكلمة، واختيارها بجانب ما يليق، ودورها فضفاضة، وذات جرس موسيقي متوازن كل ذلك ما لاحظته في كلمة الزيات، ومنذ تدربت الموقعة عرفت تماما أن أسجل له عباراته كما يتكلم بل فكنت أخرج قصاصات لا زلت أحتفظ بها لعلي أنشرها، أو أدفعها إلى أخي د/ محمد السيد ولكن إعصار القاهرة السابع لسعد زغلول جميعا، ذلك أن الدكتور محمد السيد هو أول دارس درس كل ما يتعلق بمجلة الرسالة والأستاذ الزيات حتى يعمل رئيسا التحرير مجلة الأزهر.

كان الأستاذ محمد يأتي إلى المجلة، وقد أعد ما أراد سماعه ثم نعمل على لقائه بالأستاذ الزيات، ويرحل آخر كبير السن كان من أنصار قرية الأستاذ الزيات، وكان يتردد على المجلة واسمه (عبد الفتاح) ومن عبد الفتاح هذا، ومن الأستاذ الزيات أخذ الأخ د/ محمد السيد أن يعد رسالة الماجستير عن مجلة الرسالة، وشخصية صاحبها: الزيات

ولم أزل مجاورتي للأستاذ الزيات تمر دون أن أدون صفحات عن ذكريات مولده وشبابه استمعت إليها مرة ومرتين، وقام هو - رحمه الله تعالى - بمراجعتها، وأمل أن أخرجها أو يخرجها أخي د/ محمد السيد.

وأخطر ما علمته من الزيات مباشرة أمريكيا ولا يصدقه أديب عاصر فترة حياة الزيات. لقد كان الزيات لا يقدر طه حسين إطلاقا، ولم يقع أنه يذكر لفظا أكثر من جانب كان يعتبر بعضه حطة في الدكتور طه حسين، وقد يكون لهذا موضع إذا شاء الله تعالى أعالجه فذكريات عن الزيات... ورحم الله. يحفظه - تعالى - الجميع

ولقد رأت إحدى عيني الزيات النور على يد (الدكتور باركير) أستاذنا وهو يعمل رئيسا التحرير الأزهر، وعاجله القضاء قبل أن يقوم بإجراء جراحة بعينه الأخرى.

ولعد:

فلقد كان الأثر الذي لا أرضى عنه العمل مع الأستاذ الزيات بقاريخصر:

ز اختياري للكلمة التي أضبط مع الحرص الشديد على عدم تكرارها وضبطتها سقط العام
مع ما يقوله، والميل الشديد، بل الصارم، إلى الاختصار ما أمكنه، والتزام طريقة فاخراج الجملة.

ثم مر قبل ذلك وبعده الاستيعاب الشامل لما سوف أخطه عن موضوع ودراسة دراسة لم تجعل جزءا غامضا خافيا. تلك الشذرات التي تفرقت في التلويحة الأولى لما أكتب، والتي كانت الزيادات فيما أرى - بعد المباشرة في

ثم كان هناك أمر آخر يترتب على عملي الصحافي، هذا الاختلاط بالترجمة، وكان لهذا الاختلاط - بكل أسف نتيجة سلبية تعاظمت في ضميري وصرفتني عما ما عدا الصحافة، وغيرت مجرى حياتي إلى عمل بالتدريس، وأسأل الله سبحانه أن يوفقنا للخير أجمعين.

وترك هذا الأثر الأخير طابعه على مجلة الأزهر حين تولى رئاسة تحريرها؛ فقد وفق الله تعالى أن أفصل تماما ما عدا كل ما كرهت في الصحافة، وكان لهذا الوضع أثره في القراء، فإذا مجلة الأزهر ترتفع توزيعا من اثنتي عشرة ألف نسخة إلى ثلاثين وثلاثمائة ألف نسخة شهريا.

أقسم - والله شهيد على ما أقول - أني لم أتقبل في بعض من شركة توزيع الأهرام، وكانت هي المسئولة عن توزيع مجلة الأزهر - رسالة تخبرني فيها أن العدد نفد عن آخره، والزمني فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد سليم نشر هذه الرسالة بالمجلة فنشرتها ويعلم ذلك - بعد الله - عز وجل - قراء مجلة الأزهر فأما فضيلة الإمام الأكبر الشيخ عبد المجيد فإني يجب أن أكتب عنه وسوف يتبين ذلك بمشيئة الله تعالى.

وهكذا كان طابع مجلة الأزهر - إبان عملي - ملتزما خط نفس المجلة منذ أول صدورها وطابع تحرير الرسالة فشقت طريقها بتوفيق الله - تعالى - إلى آلاف القراء ليس في الوطن العربي فحسب بل بين المسلمين في كل صقع وحالم.

ويعلم القارئ - بعد هذا الصيام - أني تخرجت في كلية اللغة العربية - بعد العمل بالتدريس ثم العمل بمجلة الأزهر - وأثناء هذه الفترة أسند إلي السيد الرئيس عضوية لجنة بمجمع البحوث الإسلامية، وأثناء عضويتي بالمجمع ندبت للعربية لغير الناطقين بها من أبناء البلاد الإسلامية وغيرهم: علمية وغير علمية، فزاولت هذا العمل بين أولئك الطلاب من أبناء البلاد التي هي غرب أوربا، وهي الشمال إلى الجنوب ذكورا وإناثا، فاكتسبت - والحمد لله تعالى - خبرة مباشرة بعيدة عن الإدارة الرسمية - بواقع البلاد الإسلامية ممتازا في تحفظها وحيطتها من كل ما يسمع به وعاية الإدارة الإزاء

وتبقى لي أثناء عملي هذا أن أعد مؤلفاتي العامة:

1) الصيام في الإسلام وطبع ثلاث مرات
2) تفسير الجزء الرابع كاملا بالتفسير الوسيط الذي أخرجه مجمع البحوث. وطبع
3) تفسير نصف الجزء الخامس والثلاثين بنفس التفسير. وطبع
4) إعداد رسالة "الماجستير": "وثنية العرب وأثرها في الأدب الجاهلي" مخطوط
5) " " "الدكتوراه" "أدب عمر بن الخطاب، وفرق ما بين مؤلف من أعماله رضي الله عنه محنة أعمال: رسائله وقضاياه وحكمه، وفقه الأدبي. وطبع

٦) رسالة صغيرة بعنوان: "تراثنا المخطوط من التأليف إلى الوراقة"

(٧) مقدمة قبل هجرة النبي - صلى الله عليه وسلم

٨) مقالات وبحوث نشرت بمجلة الأزهر - بكل عدد مقال - إبانة عملي بها الذي بدأ في سبتمبر ١٩٦٤ م وانتهى بنهاية نوفمبر ١٩٩٧، مستثنى من ذلك فترة عملي "أستاذاً مساعداً" بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة وأتم السلام وأكرم التحية، فأما أثناء عملي "أستاذاً" بالأكاديمية البحرية في [بشاور - باكستان] فلم أنقطع عن كتابة المقالات العلمية

وأتممت أثناء ذلك تحقيق:

١) نصوص الآثار الأدبية الجاهلية المتعلقة بعبارة الرؤساء، وساعدني فيها فضيلة الأستاذ الدكتور عفيف عبد الفتاح مدير النشر بالمجمع، والأستاذ بكلية اللغة العربية وأصول الدين

٢) نصوص أدبية عن مجموعة التي ضمنها رسالة الدكتوراه

٣) كتاب أخبار النبي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم للفاكهي الحنبلي شاركت مع الأستاذ أحمد حسنة جابر رجب

(٤) كتاب الورع للإمام أحمد بن حنبل مع دراسة مستفيضة ملحقة به باسم:

(تنبيه اليقظ لكتاب الورع)

٥) الرياض للإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - وهو شرح له لصحيح الإمام مسلم - شاركت مع الأستاذ الدكتور السيد إبراهيم الجميلي

ولا زلت - والحمد لله سبحانه - أحمل مادة مهمة لكتاب فقهي. أسأل الله - سبحانه - العون والتوفيق لهم

الجديد